مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الصياد

التاريخ: ١٩٩٤/١١/١٨

عادت الى مصر بعد غياب
١٥ سنة!

كل شيء بصراحة مع كاميليا انور السادات

بعد غياب دام خمسة عشر عاما، عادت السيدة كاميليا كريمة الرئيس الراحل انور السادات الى مصر عائدة من الولايات المتحدة الاميركية. جاءت لحضور مناسبة احياء ذكرى والدها، وهي المرة الاولى التي تحضر فيها احياء هذه الذكرى. آخر مرة التقت والدها كانت قبل سبعة اسابيع من اغتياله، وكان يستعجل عودتها من اميركا، ووعدته بالعودة بعد عام... ولكن غيابها دام ١٥ سنة! فتحت كاميليا قلبها وارشيفها و «البومها» لـ «الصياد»، وتحدثت عن كل شيء بصراحة كبيرة لعلها مستمدة من طبيعتها، ومن طبيعة المجتمع الاميركي الذي عاشته حتى النخاع من خلال حياتها الجامعية والاكاديمية.

تقول كاميليا السادات:

● لا ادري! يقول الجميع ان روح والدي تقمصت بي! وانني اتابع رحلة السلام التي بداها وختمها بدمه. وعلى صعيدي الشخصي بدأت رحلتي مع السلام في العام ١٩٨٦، بالقاء المحاضرات في جامعة بنتلي في بوسطن كاستاذ شرف فيها، وفي لقاءات مجالس المدن والتجمعات المختلفة حول الازمة في الشرق الاوسط.

علمت نفسي بنفسي، زوجني والدي في الثانية عشرة من عمري، من ضابط مصري يكبرني بعشرين عاما. وكان الرئيس جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر شاهدا العقد. طلقت بعد عشر سنوات بعد انجاب ابنتي الوحيدة اقبال. حصلت على الاعدادية ثم الثانوية بعد الطلاق. ونلت بكالوريوس الاعلام من جامعة القاهرة، ثم طلبت من والدي السفر الى

اميركا للحصول على الماجستير والدكتوراه. وقد وافق بعد اعتراضه على غربتي، كاي اب عربي وشرقي. سافرت، وبالفعل حصلت على الماجستير. واعد رسالة الدكتوراه التي اناقشها قريبا حول دراسات السلام وتعليمه كمنهج دراسي في المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية. وكان علي ان ابدا بالسلام مع نفسي اولا، قبل ان اتحدث عنه.

حضرت في تشرين الاول/اكتوبر الماضي مؤتمرا لتكريم جيمس بيكر في واشنطن اقامته واعدته جمعية العرب الاميركيين. سالني بيكر عما اذا كنت ساحضر ام لا. وعندما حضرت قدمني قائلا: «بيننا ضيفة عظيمة هي ابنة «اب كامب ديفيد». وكامب ديفيد هو الجد، والابن هو «مؤتمر مدريد»، اما الحفيد فهو اعلان «المبادىء الاسرائيلي - الفلسطيني». وكاميليا السادات، هي الابنة التي لبستها روح ابيها، وهي تحمل الشعلة من بعده»... وقد رفضت كاميليا السادات ان تعلق او تذكر ماذا قال الرئيس ياسر عرفات يوم مقتل ابيها، وكم كان قاسيا.

وقالت:

● نحن اليوم نعيش حالة سلام، ولا اريد تذكر الماضي. وعموما انا لا اتحدث في السياسة، وكل ما فعلته انني هنات عرفات من كل قلبي.

بعد سفري بخمسة اسابيع، واثناء تجهيز شقتي الجديدة اشتريت جهاز تلفزيون وفتحته مصادفة، فاذا بي اشاهد مقتل ابي امامي على الشاشة الاميركية. كدت اجن وافقد عقلي. وزاد المي ما سمعته من ٢٢ دولة وزعيم ومنظمة، بتعليقاتهم المخزية القاسية على اغتيال ابي انور السادات.

لم أزر اسرائيل

نشر عني انني زرت اسرائيل عدة مرات. والواقع انني لم ازرها ولا مرة. ابي اهدر دمه من اجل السلام.

وانا اعمل في حركة السلام العالمي، فكيف من حيث المبدا ازور منطقة فيها خلافات وصراعات؟ كان ذلك ردي عندما طلبني بيريز (وزير خارجية اسرائيل) هاتفيا ودعاني لزيارة اسرائيل، مؤكدا منزلة ابي ومنزلتي عندهم، ومعلنا انهم سيستقبلونني استقبال الملكات والرئيسات.

السلام اصبح هدف حياتي وقراءاتي ومحاضراتي وعملي. ادرت ندوة حول السياسات الخارجية في الشرق الاوسط، ضمن مؤتمر جمعية مؤرخي السياسات الخارجية التي حضرها الرئيس كلينتون، قدمت ورقة بحث، هي في الواقع دراسة مقارنة عن «المتغيرات والشخصيات والدور الاميركي في عملية السلام في الشرق الاوسط في الفترة ما بين ١٩٧٤ - ١٩٩٣». واثناء رحلة السلام التي بدأتها، قابلت العديد من المسؤولين ومن الشخصيات العالمية، وما زالت المسيرة تتحرك.

نشر كتابي الاول ١٩٨٥، عن دار النشر الاميركية «ماكيلن» ونفدت الطبعة. كان نصيبي خمسة آلاف دولار فقط. والسبب ان الكتاب ابتعد عن الفضائح والمانشيتات التي تشد القارىء. فضلت فقط تسجيل الحقائق دون التعرض لاحد من الاقارب او غيرهم.

وقد انتهى كتابي الاول نهاية مخزنة، بمقتل ابي واهدار دمه. ولم يخطر ببالي يومها انني ساستمر وابحث وادرس واعيش ويكون محور حياتي اكمال رسالة ابي. واليوم انا بصدد اصدار كتابي الثاني بعد ان حصلت على جائزة السلام من الامم المتحدة عام ١٩٩٠. وابحث عن دار نشر عربية تنشر كتابي الجديد.

كاميليا السادات التي يطلقون عليها في اميركا «سفيرة النوايا الطيبة»، تعرضت لازمة صحية كبيرة..

تقول:

● تعرضت لنوبات من الصرع زادت ووصلت الى عشر مرات في اليوم، مما اعاقني عن عملي ودراساتي، وكان سيعرضني للخطر، كما قال الاطباء، ونصحوني باجراء عملية جراحية في الدماغ نسبة نجاحها ٢٥٪ فقط، وقد تترك آثارا غير حميدة، مثل الشلل او العمى. واتكلت على الله وقررت اجراءها. وحلقت شعر راسي كله. والحمد لله انا اليوم في تمام الصحة والعافية بفضله تعالى وبدعاء الوالدين. امضيت الايام العشرة الاخيرة من رمضان ـ بعد العملية ـ في رحاب الرسول، حيث اديت العمرة الكريمة وامتلأت بالروحانيات.

وحول عملها في اميركا ودخلها السنوي وحالتها الاجتماعية والحب والرجل في حياتها قالت:

● اعيش حياة بسيطة جدا. انظف بيتي واطبخ بنفسي، فانا طباخة ماهرة. لا امتلك سيارة خاصة.

واتنقل بالاوتوبيس او التاكسي. اعيش مع ابنتي إقبال، وهي تعمل في احد البنوك. ادرس في جامعة بنتلي في بوسطن بدرجة «استاذ شرف». مرتبي السنوي خمسة عشر الف دولار، لان المدرسين في اميركا هم اقل الناس اجرا ومرتبات ادفع بدل ايجار

شقتي الف ومائتي دولار في الشهر، واحاضر عامة في الجامعة واتقاضى عن كل محاضرة اربعة آلاف دولار، لكن هذه المحاضرات ليست شهرية. ودخلي منها يساعدني ويوازي الميزانية، لكي تغطي بقية مطالب الحياة.

ماذا عن الحب والرجل في حياتي؟

انت تعلمين انني تزوجت وانا طفلة في الثانية عشر من عمري وطلقت ومعي ابنتي اقبال بعد عشر سنوات. وعمرها اليوم ٢٨ عاما. اليوم لا وجود لاي رجل في حياتي، بعدما تزوجت عملي، اعرف ان الحياة الزوجية شيء مقدس، لكن اين الزوج الذي يتقبل الزوجة التي تعمل ليل نهار، وغير متفرغة لشؤونه ولابنائه؟

من يتحملني في اسفاري؟ نعم، الوحدة قاتلة، لكن اذا انشغل المرء بهدف جميل مثل السلام، فكل معنى من معانيه يكون عطاءا. كانت امي تتمنى ان اصبح طبيبة. وكنت اقول: «انا لا اطيق ان يوقظني هاتف من نومي ليلا لاداء عملي. واليوم يجعلني الفاكس اقفز من فراشي عند منتصف الليل...

"ربنا يعلم حاشوفك تاني"

وتتحدث كاميليا السادات عن ابيها وتصرفاته في المنزل، بعيدا عن الاضواء، وعلاقاته ببناته، وهواياته ورياضته المفضلة، والاغنية التي يسمعها كل صباح، والاصول والجذور التي كان يتمسك بها وعشقه لقريته ميت او الكوم، تلك البقعة الصغيرة على خريطة مصر:

● آخر لقاء لي مع والدي الرئيس انور السادات كان قبل مقتله بسبعة اسابيع في ميت او الكوم، حيث كان يحلو له الالتقاء ببناته انا ورقية وراوية، وكان يحرص على بقائنا معه وحدنا بعيدا عن الجميع.

سالني. متى تعودين من اميركا؟ وقلت له: بعد عام، عقب الانتهاء من الامتحانات. قال: «ياه سنة بحالها لا اراك؟!» ضحكت وقلت: «حضرتك تسافر كتير الى اميركا، وسوف اراك هناك اكثر من هنا»! نظر الى السماء وهمس: «ربنا يعلم حاشوفك تاني ولا لأ»! وظننت ان هذه اخر ورقة يلعبها معي، حتى لا اغادر. ثم نادى على مصوره الخاص رشوان ـ وهو الذي قتل معه في المنصة ـ وقال له: صورني يا رشوان مع بنتي كاميليا وحفيدتي اقبال قبل السفر». وبالفعل تصورنا معا، وانا التي كنت دائما ابتعد في اية مناسبة عن الصور، حين كان يتزاحم الجميع لالتقاط صورة معه. وكنت اقول في نفسي: «هو ابي وموجود دائما، فلماذا اتعجل التصوير معه؟» وبالفعل كانت هذه الصور هي الاخيرة معه قبل وفاته.

ماذا جرى له؟

وتضيف كاميليا السادات:

● في اميركا شاهدت احداث سبتمبر/ايلول والاعتقالات التي جرت في تلك الفترة، وحزنت جدا. لم يكن ابي هو هذا الذي اراه امامي على شاشة التلفزيون، فهو رجل عقلاني ولا يعرف الحقد. ماذا حدث له؟ خفت عليه في ذلك اليوم من الغضب الذي يملأ صدره.

وبعد ايام شاهدته في التلفزيون الاميركي، يلتقي اليكسندر هيغ احد المقاولين المقربين للرئيس ريغان. فعرفت انه في واشنطن واتصلت بالسفارة المصرية، وسالت الدكتور اشرف غربال «بابا فين؟» قال غادر الى لندن، وتعجبت: «غادر دون ان يراني؟!» فاجاب: «كانت المرة الاولى التي يلتق بها الحكومة والادارة الاميركية الجديدة، وكان على عجل من كثرة ارتباطاته».

... وبعدها، فجعت باغتياله في يوم عيده، على شاشة التلفزيون الاميركي. كدت اجن وعدت مسرعة الى القاهرة. وفي المطار، كنت اصرخ... لقد هشموا جسد ابي!!

لكن اخي جمال السادات هدأ من روعي. اخذني واراني البذلة التي كان يرتديها. هناك طلقة من اسفل الجانب الايمن، اخترقت قلبه لجهة اليسار. طلقة في رقبته، واخرى في ركبته. ثلاث فتحات فقط في البذلة.

تذكرت دعاء جدتي (ام ابي) وكنا اطفالا نتشاجر من ينام في حضنها. كانت تدعو له في صلواتها، وهو ما زال رئيسا للتحرير في جريدة «الجمهورية» عام ١٩٥٥ وتقول: «ربنا ينصرك يا ابني في الدنيا وفي الآخرة... ينصرك في حياتك وفي مماتك»...

وبالفعل، عانى ابي من ثلاث ازمات قلبية كبيرة. وكان معرضا للموت في فراشه، اذا اقتحمته ازمة رابعة، لكنه عاش منتصرا ومات شهيدا.

"زين" بطل رفع الاثقال

ذات يوم سال صحافي اجنبي ابي عن سر نجاحه. وجاءت اجابته «Mind Soal and Body» اي «العقل والروح والجسد». العقل ويتغذى بالقراءة. ولا اذكر انني دخلت عليه يوما، الا وفي يده كتاب. كانت الاولوية في قراءته للقرآن الكريم، الذي ختمه اكثر من مرة. ومطلعاته جمعت ما بين الادب والفنون وعلم النفس والاستراتيجية. قبل حرب اكتوبر، كان يشاهد افلام الحرب العالمية الثانية وعن كباري (جسور) الفلين التي عبر بها الجنود المصريون القنال، وكنا نتعجب جميعا لاصراره على مشاهدة هذه الافلام، في هذا الوقت بالذات. اما الروح، فتتغذى بالدين والروحانيات. واخذ ابي يشرح للصحافي الاجنبي، ماذا يكتسب المرء من قراءاته الروحية والدينية. اما د، فقوامه التمرينات الرياضية. وابي لم ينقطع عن رياضته المفضلة وهي رفع الحديد والاثقال.

كل صباح في تمام السابعة يحضر المدرب «زين» وكان بطل مصر في حمل الاثقال ويبدا معه تدريبات الصباح. والمدرب زين هو الذي حمل ابي على كتفيه بعد اغتياله، من المنصة وحتى الطائرة التي اقلته الى المستشفى.

اما الخامسة بعد ظهر كل يوم، فكان موعد رياضة المشي. وكان يمشي خمسة كيلومترات يوميا. واحيانا عندما كانوا يطلبونني ويقولون لي: «الرئيس يريد لقاءك في الخامسة مساء، كنت اصاب بفزع كبير... فهذا موعد رياضة المشي، وهو كرجل عسكري ممشوق القوام كان سريع الخطوات، وكنت اسير لاهثة خلفه لانني قصيرة القامة وخطواتي وخطواتي قصيرة. كان يمشي وهو يحدثني عن كل شيء، بما فيها موضوعات الساعة، في حوار سريع وخطوات سريعة.

تعلمت من ابي الكثير وكل يوم من السابعة الى الثامنة صباحا، اسير مسرعة في شوارع بوسطن في اميركا، مهما كان الطقس، حتى ولو كان يمطر ثلجا. ابدا يومي بالرياضة والنشاط ومكتبتي تزخر بالكتب الدينية والعلمية الحديثة والقديمة. تعلم ابي على نفسه معظم اللغات، ومنها الفارسية والالمانية والفرنسية. وحبه للقراءة كان يوازي حبه للرياضة وتاثرت به كثيرا. واعجبت به كرئيس دولة، وبافكاره وتطوره وتجديده في كل شيء. لم يكن جامدا بل طموحا. وهو في طريق السلام، رمز لقصة نجاح.

تبرع بثروته لقريته

وابي رجل فلاح يتمسك بمبادىء القرية واصولها. لم يدخن يوما سيكارة امام والده، حتى وهو رئيس جمهورية. وهو الاب الحنون، المتفهم واسع الادراك.

كان اذا مر امامنا، واحدنا يدخن سيكارة، يدير راسه حتى لا يحرجنا. وهو والد الست بنات وشاب. وكم كان يحب البنات ويتبسط معنا بخفة دمه المعروفة.

لم يكن ابي يوما رجلا غنيا. ورغم ذلك تبرع بكل ما يملك لقريته الصغيرة. نصيبه في جائزة نوبل، كان نصف مليون دولار. وكانت حصيلة بيع كتابه «البحث عن الذات» مليون ونصف مليون دولار. تبرع بالمليونين لميت ابو الكوم هذه «النقطة» الصغيرة على خريطة مصر. اراد ان يجعل منها قرية نموذجية. باعادة بنائها، وتوفير كل الحاجيات لاهلها من الفلاحين. فاصبحت القرية نموذجا للحضارة العصرية.

يشار اليها في كل كتيبات المكاتب الثقافية في سفاراتنا حول العالم. تتحدث عن مصادر الطاقات واستخدامها في مصر وتحكي عن طاقة «السولار»، التي تستمد من الشمس، كاحدث ما وصل اليه العقل البشري. عاش ابي فقيرا ومات فقيرا... يومها جمعنا ابي وقال: «يا ولاد انا اتبرعت بفلوس لقريتي» فقلت له: «انت حضرتك حر في فلوسك». ورد ابي قائلا:

«... لكن جيهان زوجتي رايها مختلف، وتريد مني ان اوزع المبلغ كله عليكم. وانا ارى انه بهذا المبلغ سوف نسعد اهل القرية. لقد تركت لكم ما هو اعظم من الفلوس. ستعيشون حياتكم ورؤوسكم مرفوعة في السماء. تركت لكم حب الناس واحترامهم. وهذه امور لا تشترى بالملايين».

وتضيف كاميليا السادات:

وبالفعل، فانا في جميع اسفاري اجد الاذرع والقلوب المفتوحة، والحب الذي احصده وهو اغلى تركة ورثتها عن ابي.

● اذكر عندما اختاروا ابي عام ١٩٧٨ واحدا بين عشرة رجال هم الاكثر اناقة في العالم، جمعنا وقال: «شفتم يا ولاد، الفلاح بتاع ميت ابو الكوم، اللي اصبح من اشيك رجال العالم»؟ واضيف هنا معلومة مهمة. ابي لم يلبس بذلات من الماركات العالمية. لقد كان الترزي (الخياط) سويلم، يفصل له كل ملابسه من قمصان وبذلات.

واضافت كاميليا:

كان ابي رب اسرة عاديا جدا، قبل ان يكون رئيسا للجمهورية، زوج هادىء وأب حنون، لا نسمع له صوتا في البيت. لا «يشخط ولا ينطر» مثل باقي الآباء والازواج. لم يكن ابدا «سي السيد». متطلباته بسيطة فطاره ملعقة عسل نحل وفنجان شاي. وغداؤه، ربع اوزة صغيرة، او قطعة لحم «تبلو» مع بعض الخضراوات تطبخ في الفرن، على الطريقة المتبعة في القرية، والعشاء فاكهة. كان يمضي فترة طويلة من الليل في تلاوة القرآن الكريم، ويستيقظ مبكرا، ويؤدي صلواته.

كان يحب جدا صوت فريد الاطرش واسمهان. وكان يقول لنا: «فريد واسمهان هما فتى وفتاة احلام جيلنا. صوت كل منهما جميل جدا». وكان يرتدي ملابسه يوميا وهو يستمع الى اغانيهما. يفضل الافلام الحربية ويشاهدها يوميا في المنزل. وعندما يكون في احسن حالاته كان يجمعنا حوله في قريته ميت ابو الكوم. ■

القاهرة - الفت قطامش

صور لم تنشر من قبل من «البوم» كاميليا السادات

الرئيس عبد الناصر حضر حفل عرسها وكان عمرها ١٢ سنة ولكن «برزة» العروس جعلتها تبدو اكبر من سنها الحقيقي

والد انور السادات ووالدته والعائلة

كاميليا مع عمها عصمت السادات